



قضايا ونظرات (الوطن والأمة والعالم)

المسلمون في الغرب: بعيون غربية⁽³⁾

تحديات أمام الغرب: داعش
والصين ومصر

د. شيرين فهمي

9 يوليو

2015

تحديات أمام الغرب: داعش والصين ومصر

تنوعت القضايا المطروحة على الساحة الإعلامية الغربية - عبر شهري مايو ويونيو 2015 - بين اتجاهات عدة، يمكن تلخيصها على الوجه الآتي؛ أولاً: إثارة قضية "الخطر الإسلامي" - وهي القضية المثارة الحاضرة دائماً ودوماً - مع تركيز الهجوم على المملكة العربية السعودية؛ ثانياً: تناول موضوع تعامل الإدارة الأمريكية مع "تنظيم الدولة" حيث مُنيت الأولى بهزيمة واضحة بعد استيلاء "التنظيم" على منطقة "الرمادي" بالعراق في مايو 2015؛ هذا بالإضافة إلى التهديد الصيني الصريح الذي بات يشغل حيزاً كبيراً في الدوريات الأمريكية. وأخيراً، التطرق إلى الشأن المصري الذي تضمن موضوع "ضياح الثورة المصرية" واتجاه الشارع المصري نحو العنف. ويمكن القول، أن تلك القضايا الأربع باتت تشكل تحديات وأزمات بالنسبة للأنظمة والحكومات الغربية؛ ولا سيما الإدارة الأمريكية التي فوضت وولكت نفسها لمحاربة "تنظيم الدولة"، والتي باتت في مواجهةٍ ومنافسةٍ مع التتين الصيني على قيادة النظام الدولي، والتي باتت أخيراً في مواجهة وضع مصري متدهور أضحى مهدداً لمصالحها الإستراتيجية في مصر.

بالسبب للقضية الأولى - قضية "الخطر الإسلامي" - فقد نجد لها صدىً واضحاً في مقال "الخطر المتزايد على الغرب"، المنشور بجريدة "فرانكفورتر ألبيمينه تسايتونج Frankfurter Allgemeine Zeitung"، بتاريخ 2015/5/4، حيث تناول "فولفجانج ليرش" (كاتب المقال) تلك القضية عبر تطرقه إلى كتاب "مجاهدو القاعدة الألمان: عولمة الإرهاب الإسلامي" للباحث والمتخصص الألماني في شئون العالم الإسلامي "جيدو شتاينبرج".¹

يتحدث الكتاب عن تاريخ نشوء "تنظيم الدولة الإسلامية" وتطوره عبر العقد الماضي، مشيراً إلى دور "مصعب الزرقاوي"، ممثل "القاعدة" بالعراق، في إنشاء "تنظيم الدولة"، حيث انبثق الأخير من الأول بأراضي العراق في عام 2006. كان هدف "الزرقاوي" عبر التنظيم الجديد - كما يشير الكتاب - هو جمع وحشد السنة ضد الشيعة في العراق. إلا أنه مع مقتل "الزرقاوي" في عام 2010، ثم مع اندلاع الثورات العربية في عام 2011، اشتدت وقويت شوكة "تنظيم الدولة" بالعراق؛ فإذا به يتحول في عام 2013 إلى "تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق وسوريا".

¹ Wolfgang Guenter Lerch, "Wachsende Gefaehrdung des Westens", Frankfurter Allgemeine Zeitung, May 4, 2015.

تحت إمرة "أبو بكر البغدادي". أما التحول الآخر، كما ورد في الكتاب، فقد تمثل في تصاعد وتيرة الصراع بين "القاعدة" و"تنظيم الدولة" ولا سيما بعد مقتل "أسامة بن لادن" في عام 2011، ثم نشوء "جبهة النصرة" في سوريا عام 2012، وتوجهها بالحرب نحو "تنظيم الدولة" في سوريا.² ولا تنتهي إثارة هذا الموضوع - "الخطر الإسلامي" بالنسبة للغرب - عند الكتاب الأخير، بل صدر كتاب آخر لنفس الباحث الألماني تحت عنوان "خلافة الرعب: تنظيم الدولة والتهديد عبر الإرهاب الإسلامي"؛ وهو الكتاب الصادر مؤخراً في "ميونيخ" عام 2015، والذي يشير إلى تهديد "تنظيم الدولة" للدول المجاورة ولأوروبيين أنفسهم، مما يشكل خطراً متتامياً في داخل المجتمعات الغربية جراء تلك الظاهرة. ويطرح الباحث "شتاينبرج" السؤال التالي: كيف يمكن مواجهة فكرة الخلافة "اللامحدودة" التي "تدمر حدود سايكس بيكو"؟³

وفي نهاية الكتاب، ينصح الباحث الغرب بضرورة محاربه لذلك الإرهاب عبر الدولي، ودعمه للدول المجاورة للعراق وسوريا، وصبره على طول الطريق لأن الحرب لن تكون قصيرة المدى. ومن العجيب أن يفصح الباحث، في خاتمته، عن تخوفه الأكبر من "القاعدة" باعتبارها تنظيم غير محدد المساحة والحركة على عكس "تنظيم الدولة".⁴

وفي مقال آخر، ينقل إلينا ذلك الرعب الغربي من الجهاديين السُنيين، نجد كلاً من "كارل شوكس" و"جامشيد شوكس" يتحدثان عن المملكة العربية السعودية باعتبارها الممول الأساسي والرئيسي للجهاد العالمي. ففي مقالهما "الارتباط السعودي: بين الوهابية والجهاد العالمي" - والمنشور في مجلة "وورلد آفيرز جورنال World Affairs Journal" في عدد مايو/يونيو 2015 - كتبا قائلين: على الرغم مما يبديه ملوك آل سعود (عبد الله ثم سلمان) من بغض للإرهاب والتطرف، باعتبارهما نكبةً على الإسلام، إلا أن تلك التصريحات تبدو حقيقةً فارغة المضمون في وجه الدلائل التي تشير إلى تأصل الجهاد السُني في داخل المملكة العربية

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

السعودية، وفي داخل المؤسسة الدينية الوهابية. فالمملكة - كما يؤكد الكاتبان - في اندماج كامل مع الصيغة الوهابية للإسلام السنّي منذ عام 1744.⁵

ويقدم الكاتبان الدلائل على ذلك؛ فيوجهان أصعب الاتهام نحو تمويلات المملكة الضخمة حول العالم بهدف إيجاد مسلمين أجانب راديكاليين، يقومون بعمليات إرهابية في مختلف الدول؛ من أفغانستان إلى سوريا إلى ليبيا إلى "تشارلي إيبدو" في فرنسا. فكثير من القتلة الإرهابيين - كما يذهب الكاتبان - تربوا على أيدي شيوخ "القاعدة" و"أنصار الشريعة" في ليبيا. هذا فضلاً عن ضلوع النخبة الحاكمة السعودية في أحداث 11 سبتمبر، عبر لإغداقها ملايين الدولارات على السنّيين المتطرفين.⁶

ولا ينسى الكاتبان أن يتطرقا إلى الأيديولوجية الوهابية التي تحض على كره الغرب، ونشرها بالمساجد الوهابية في أوروبا والبلقان. وها هو الملك الجديد "سلمان" يصر على عدم فك ارتباطه بالوهابية، بل وتعيينه لثلاثة من تابعي "محمد عبد الوهاب" في حكومته، وقيادته لعملية "عاصفة الصحراء" التي أفضت إلى تهيج مشاعر السنّة المتطرفين.⁷

أما بخصوص دور الإدارة الأمريكية تجاه ملوك آل سعود، فإن الكاتبين يقدمان كل الأعداء والمعاذير لتلك الإدارة التي يصفانها بكونها "لم تكن تعلم" بانتقال المجاهدين الأفغان يوماً إلى الشرق الأوسط والبلقان والقوقاز وجنوب آسيا. ويطالب الكاتبان إدارة "أوباما" بالكف عن "التسامح" تجاه المملكة الوهابية، وضرورة الضغط عليها لإنهاء أنشطتها الوهابية. وفي نهاية المقال، يرسل الكاتبان تحذيرهما إلى المملكة السعودية قائلين: "لن نسمح للسعودية بعد ذلك باستخدام قوة بترولها لفرض وهابيتها. لابد أن يأتي التغيير إما من داخل المجتمع السعودي أو من قبل ضغوط الخارج عليها".⁸

وبالقراءة في هذين المقالين، يجدر بنا طرح بعض التساؤلات المهمة؛ أولاً: لماذا يعكف الكثير من الباحثين الغربيين دوماً على دراسة وتحليل النتائج دون دراسة وتحليل الأسباب؟ فهم يتحدثون

⁵ Carol E. B. Choksy and Jamsheed K. Choksy, "The Saudi Connection: Wahabism and Global Jihad", World Affairs Journal, May/June 2015.

⁶ Ibid.

⁷ Ibid.

⁸ Ibid.

دائماً وأبداً عن الأخطار والتهديدات التي تخلفها التنظيمات الإسلامية المتطرفة على مصالح الغرب، بينما يتجاهلون التحدث عن الدوافع والأسباب التي أفضت إلى نشوء تلك التنظيمات. وإذا كنا مختلفين مع رؤى وسياسات تلك التنظيمات، فهذا لا يعني أن نغض الطرف عن الأسباب المؤدية لظهورها ونشئها. تلك الأسباب التي من أهمها "الظلم" و"الجور" و"الاستبداد"، سواء من قبل جيوش المحتل الغربي الخارجي أو من قبل جيوش المحتل العربي الداخلي القومي القطري.

ثانياً، هل كان فعلاً الغرب جاهلاً بمآلات الحركة الوهابية كما يزعم الكاتبان "شوكس"؟ أم أنها كان يعلم جيداً بمآلات تلك الحركة، ولكنه كان يغض الطرف عن قصد وعمد حفاظاً على مصالحها الإستراتيجية مع ملوك آل سعود، والتي تتلخص في تدفق النفط السعودي للولايات المتحدة، وتدفق صفقات السلاح الأمريكي للمملكة السعودية؟

ثالثاً، هل فعلاً تعتبر المملكة السعودية ممولةً لحركات الجهاد حول العالم؟ إذا كانت فعلاً المملكة كذلك، فكيف تكون في الوقت ذاته شريكاً أساسية للولايات المتحدة في المنطقة العربية؟ وكيف تكون في الوقت ذاته من أكبر الدول المتلقية لصفقات السلاح الأمريكي؟ أم أن المملكة السعودية تمول الجهاديين بالسلاح الأمريكي؟ وهل تعارض السعودية الثورات السلمية بمشاركة إسلامية لتساند الحركات الإسلامية المسلحة؟

إن علاقة الولايات المتحدة مع دول الخليج العربي - ولا سيما السعودية - علاقة مركبة ومُعقدة للغاية. وربما تجلّى ذلك في قمة "كامب ديفيد" الأخيرة التي عُقدت في مايو 2015. وهو ما ورد في مقال "بداية جديدة مع الخليج؟ كيف يمكن إصلاح العلاقات مع شركاء واشنطن العرب"، المنشور في مجلة الـ "فورين آفيرز Foreign Affairs"، حيث تناول المقال العلاقة الأمنية المتوترة الحالية بين الإدارة الأمريكية ودول الخليج العربي؛ ولا سيما في ظل الاتفاق النووي الأمريكي الإيراني، وبعد اختراق "أوباما" للخط الأحمر الذي كان قد وضعه بالنسبة لاستخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا.⁹

⁹ Bilal Y.Saab and Barry Pavel, "A Fresh Start with the Gulf? How to Repair Ties with Washington's Arab Partners", *Foreign Affairs*, May 12, 2015.

والسؤال المطروح هو: هل كانت القمة فرصة لإعادة الشراكة القديمة، التي استمرت عقوداً، إلى الحياة؟ أما ستقف الإدارة الأمريكية على الصف الإيراني متجاهلةً القضية الأمنية لدول الخليج - التي تعتبر قضيةً إستراتيجيةً من المقام الأول؟ مما يعني مزيداً من التآزم الإقليمي بين إيران والسعودية، ومزيداً من دخول أسلحة الدمار الشامل والتدخل العسكري الأمريكي في المنطقة؟

وما زال الحديث باقياً حول "تنظيم الدولة" - الذي بات متصديراً لمعظم الصحف والدوريات الغربية - ولا سيما بعد احتلال "التنظيم" كلاً من "الرمادي" بالعراق و"تدمر" بسوريا في مايو 2015. ففي مقال منشور بمجلة "ذه ناشيونال إنترست The National Interest" في 23 مايو 2015، تحت عنوان "الإستراتيجية الوحيدة لمواجهة تنظيم الدولة بالنسبة لأمريكا: الاحتواء"، أكد الكاتب قائلاً، بأنه بعد احتلال "الرمادي" و"تدمر" لم يعد مجالاً للشك في كون الإدارة الأمريكية قد خسرت الحرب على الأرض مع "تنظيم الدولة". ومن ثم لم يعد أمام الإدارة الأمريكية سوى سياسة الاحتواء التي تستدعي حفظ الشبكة الحالية للشراكات (غير السهلة) مع القوى الكردية في شمالي العراق وشمال شرقي سوريا، ومع الميليشيات الداعمة للجيش العراقي؛ وكذلك تقديم المزيد من التدريبات والتأهيلات للمعارضين السوريين وقوات الجيش العراقي. ويختم الكاتب المقال قائلاً: "إن إدارة أوباما وإستراتيجيتها - إن كانت ما زالت موجودة - فهي حالياً في حُطام، ومصادقيتها في لحظة جذر، ولم يعد أمامها خيار آخر".¹⁰

وكما يُشار إلى تحدي "تنظيم الدولة" أمام الإدارة الأمريكية، فإنه يُشار بالمثل إلى التحدي الصيني الذي لم يعد خافياً، والذي بات هو أيضاً متصديراً لأغلب الدوريات الأمريكية، إن لم يكن كلها. ففي مقال "إحذروا من الإستراتيجية الكبرى للصين: كيف يستطيع أوباما وضع خطوط حمراء صحيحة"، والمنشور في مجلة "فورين آفيرز" الأمريكية، دق الكاتب ناقوس الخطر من المؤسسة الصينية الدولية الجديدة، المتوقع إنشاؤها في السنوات القادمة، المتمثلة في البنك الآسيوي الاستثماري للبنى التحتية في بكين، AIB، حيث أقدمت 57 دولة في أبريل 2015 على المشاركة في العضوية التأسيسية لهذا البنك الذي ترك واشنطن في حيرةٍ من أمرها. فإذا كان بعض المسؤولين الأمريكيين قد حيا تلك الخطوة، باعتبارها محفزة للصين في إظهار مسئولية

¹⁰ Dov S.Zakheim, "The Only ISIS Strategy Left for America: Containment", The National Interest, May 23, 2015.

دولية تجاه الدول الآسيوية الفقيرة، إلا أن هناك فريقاً آخر يعارض تلك الخطوة باعتبارها مجهزةً للنظام الاقتصادي الأمريكي، وتحقيقاً لأجندة الصين الإستراتيجية.¹¹

إن مكن الخطر يتمثل في ازدياد النفوذ الصيني عبر المحيط الآسيوي من خلال ذلك البنك الذي سيمكن الشركات الصينية من جني معظم الأرباح. إن الصين قادرة اليوم على إعادة تشكيل النظام الدولي بمفردها؛ وهي تعمل اليوم دون أن يطولها الفيتو الأمريكي، كما يشير كاتب المقال.¹²

وقد يرى بعض الباحثين الغربيين - مثل "مايكل سوين Michael D. Swaine" - أن مواجهة الولايات المتحدة للصين لن تكون أبداً عبر الهيمنة الأمريكية على غربي المحيط الهادي، وإنما تكون بتوازن الولايات المتحدة توازناً مستقراً مع القوة الصينية. إن صناعات القرار الأمريكي والصيني عليهم أن يختاروا بين التعامل بلطف وحساسية مع التوزيع الجديد للقوة الإقليمية أو تجاهل القرارات الصعبة التي سيفرضها الصعود الصيني.¹³

وانتقالاً إلى تحليل الشأن المصري الحالي، فقد ذهبت "ميشيل دان Michael Dunn"، في بحثها "قوميو مصر يهيمنون في منطقة السياسة الحرة"، إلى الإقرار ببزوغ نوع جديد من القومية المصرية؛ قومية عسكرية مناهضة للغرب، مثل أيام "عبد الناصر" في الخمسينيات والستينيات، على عكس القومية التي كانت متواجدة إبان ثورة 25 يناير.¹⁴

وبحسب البحث، فقد تغير المشهد السياسي المصري تغيراً ملحوظاً عبر أربع سنوات منذ اندلاع ثورة يناير 2011. فبعد أن كانت التعددية هي السائدة والمهيمنة في عام 2011، أضحت الصوت الواحد هو السائد والمهيمن، حيث استعاد القوميون المرتبطون بمؤسسة الجيش أو نظام مبارك السابق مكانتهم. وبعد أن كان الإسلاميون والليبراليون هم الذين يكسبون الانتخابات البرلمانية في عامي 2011 و2012، أضحت الفريقان إما في نطاق العزلة أو نطاق التهميش. وأضحت الفضاء العام - "الميديا" والشارع - مغلقاً أمام الشباب، مفتوحاً أمام الكبار. هذا فضلاً

¹¹ Jeff M. Smith, "Beware China's Grand Strategy: How Can Obama Set the Right Red Lines", Foreign Affairs, May 20, 2015.

¹² Ibid.

¹³ Michael D. Swaine, "Beyond American Predominance in Western Pacific: The Need for a Stable U.S. - China Balance of Power", Carnegie Endowment for International Peace, April 20, 2015.

¹⁴ Michael Dunn, "Egypt's Nationalists Dominate in a Politics Free Zone", Carnegie Endowment for International Peace, April 15, 2015.

عن تجاهل "السيسي" للسياسة المدنية، من قبيل عدم اهتمامه بإنشاء حزب سياسي قومي جديد بدلاً من الحزب القومي الديمقراطي؛ وكذلك عدم اهتمامه بإنشاء برلمان. فأى برلمان يمكن أن ينشأ في تلك الظروف؟ وأي برلمان يمكن أن يؤدي واجبه الدستوري المفوض له في وسط تلك البيئة غير الديمقراطية وغير التشاركية؟¹⁵

والسؤال المطروح هنا: هل فعلاً كان القوميون المرتبطون بمؤسسة الجيش مناهضين للغرب؟ وإذا كان الأمر ذلك صحيحاً، فكيف يمكن أن نفسر التحالف الإستراتيجي بين الأنظمة العسكرية المتوالية في مصر مع الولايات المتحدة على مدى قرابة أربعة عقود؟ وخاصة منذ اتفاقية السلام مع إسرائيل، وهل كان بموسوع تلك الأنظمة العسكرية أن تبقى طيلة تلك العقود الماضية دون مساندة الولايات المتحدة التي كانت تنتفع من تلك الأنظمة، وتحقق من خلالها مصالحها الإستراتيجية في المنطقة؟ وهل نظام 3 يوليو حقيقة يسعى للاستقلال عن الغرب وما حقيقة الحملة الإعلامية الضخمة التي تزعم ذلك خلال مزاداتها بالمؤامرة الغربية على مصر؟

واستمراراً في تحليل الوضع المصري المتدهور - منذ يوليو 2013 - كتب "إيريك تراجير Eric Trager" و"مارينا شلبي Marina Shalaby" عن تسارع وتيرة عمليات القمع تجاه تنظيم جماعة الإخوان المسلمين في مصر منذ يوليو 2013. فوفقاً لهما هناك على الأقل، منذ ذلك الحين، 2500 قتيل و16 ألف معتقل؛ هذا بالإضافة إلى الحكم على "مرسي" بالإعدام. وقد أفضت تلك المظالم المتزايدة إلى إحداث انقسام متزايد بين الأعضاء الشباب للتنظيم وبين الأعضاء الشيوخ؛ فالشباب يلومون على الشيوخ سوء قراءتهم للواقع الذي أدى إلى الانقلاب على "مرسي"، كما يلومون عليهم سوء إدارتهم للتطورات السياسية فيما بعد الانقلاب. باختصار، بات الشباب يحبذون التكتيكات الثورية العنيفة لزعة الحكومة عاجلاً وليس آجلاً، رافضين منهج الشيوخ في دعوتهم إلى الكفاح طويل المدى ضد الحكم العسكري.¹⁶

وختاماً وتلخيصاً لما سبق، أتلّمس - من خلال القراءة في التقارير والتحليلات الغربية السابقة - توتراً ملحوظاً بالنسبة للإدارة الأمريكية في علاقاتها الخارجية على الأبعد التالية: توتر مع دول الخليج العربي، ولاسيما مع السعودية؛ إخفاق مع "تنظيم الدولة"؛ تريبص مع الصين؛ وأخيراً

¹⁵ Ibid.

¹⁶ Eric Trager and Marina Shalabi, "Egypt's Muslim Brotherhood Gets a Facelift: The Movement's Young Leaders Turn Revolutionary to Stay Relevant", *Foreign Affairs*, May 20, 2015.

حيرة وقلق تجاه الوضع المصري المتدهور الذي يُعرض المصالح الإستراتيجية الأمريكية
المصرية للخطر.

يونيو 2015